

## دور الوثائق والمخطوطات السودانية في فهم الواقع الثقافي والحضاري

أحمد حسين عبدالرحمن و معاوية مصطفى

**ملخص:** يهدف هذا البحث إلى إبراز دور الوثائق والمخطوطات في فهم وصياغة وكتابة التاريخ الحضاري والثقافي للسودان، كما يتطرق إلى أهمية الوثائق والمخطوطات، مع إيراد بعض النماذج منها، خاصة تلك التي لها دور كبير في توضيح الدور الحضاري والثقافي للمجتمع السوداني عبر الفترات المختلفة. وقد أشير إلى العديد من الأدلة التي يمكن أن تُسهم في الإجابة على مقاصد الدراسة من أجل المزيد من التفسير والتوضيح. كمنته الأهمية في أن عصر الكتاب المخطوط في العالم العربي والإسلامي بما في ذلك السودان استمر حتى وقت قريب؛ فلم تكتسب طباعة الكتب أهمية في عالمنا العربي والإسلامي إلا مع بداية القرن التاسع عشر. لذلك تناول هذا البحث الدور الفاعل للوثائق والمخطوطات في كشف مختلف النواحي الحياتية الماضية لأي مجتمع، ولاسيما مجتمعنا السوداني الذي يذخر بوثائق ومخطوطات لها قيمة علمية وتاريخية مهمة في معرفة الدور الثقافي والحضاري.

**كلمات مفتاحية:** كوش، المهدية، المخطوطات، الكتابة، الوثائق السودانية، السودان القديم.

**Abstract:** This paper highlights the role of documents and manuscripts in the comprehension, formation, and writing of the Sudanese cultural and civilization history. Of the importance of documents and manuscripts, the paper presents illustrative samples of those that had, throughout different periods, important clarifying cultural and civilization roles of the Sudanese society. For further clarifications, ample pertinent examples that substantiate the argument are also provided. The importance of this study derives from the fact that until the early 19th century, printed books enjoyed virtually no importance in the Arab and Islamic worlds, leaving therefore intact the importance of the manuscript. For this reason, this paper highlights the crucial roles of documents and manuscripts in illuminating all levels of a society. As Sudan is Rich in valuable documents and manuscripts, these are important sources to identifying its cultural and civilization roles.

### ١. تمهيد

ونعرفها بأنها هي كل ما يمكن أن يشتمل على معلومات أو تصورات أو تفسيرات جديدة، أي أنها تلك المصادر التي قام الباحث بتسجيل معلوماتها مباشرة، استناداً إلى الملاحظة أو التجريب أو الإحصاء أو جمع البيانات ميدانياً أو الاكتشافات الأثرية بغرض الخروج بنتائج جديدة وحقائق غير معروفة سابقاً، مثل: الرسائل الجامعية، ومقالات الدوريات المتخصصة، وتقارير البحوث، وأعمال المؤتمرات، والمطبوعات الرسمية، وبراءات الاختراع، والمواصفات القياسية، إضافة إلى علم الآثار بكل أدواته وطرقه في الكشف عن المعلومات

جمعت هذه الدراسة بين علم المكتبات والمعلومات وعلم الآثار، ومن المتعارف عليه أن علم المكتبات والمعلومات هو علم متداخل؛ لأنه يعد من المجالات المعرفية الجديدة التي تستخدم المناهج العلمية بصورة جزئية، وهو علم العلوم، لأنه يعمل على تنظيم كل المعرفة البشرية؛ أما علم الآثار، فيعد أحد أهم المصادر التي تكشف لنا عن المعلومات في العصور القديمة، والمعلومات التي يتم التوصل إليها عن طريقه هي معلومات من الدرجة الأولى أو معلومات أولية،

عادة تُدرس الوثائق والمخطوطات إما من حيث الشكل المادي أو المحتوى الموضوعي، وحدد القدماء لصناعة الكتاب المخطوط أربعة أركان هي: الكاغد (الورق)، المداد (الحبر)، القلم (الخط)، التجليد (التسفير) (سيد، ١٩٩٨: ٣١). وهذه الأركان الأربعة تختص بالشكل المادي للوثائق والمخطوطات وهي إحدى طرق دراسة الوثائق والمخطوطات، وقد أجريت فيها العديد من الدراسات، لكن اقتصررت هذه الورقة على متون الوثائق والمخطوطات أو محتواها الموضوعي لما يقدمه من مادة علمية، أي دراسة أي أثر يرتبط بالنص الأساسي للوثائق والكتاب المخطوط الذي كتبه المؤلف أو الذي تم تحقيقه، إضافة إلى قلة الدراسات العلمية وشحها في هذا الجانب، إذ تكاد تنعدم تماماً.

## ٢. مفهوم الكتابة وأهميتها

للكتابة أهمية كبيرة في تاريخ كل الشعوب، وقد بدأ ظهورها منذ استقرار الإنسان عندما توافرت له سبل نشوء الحضارة، ومن أوائل المناطق التي شهدت نمط الكتابة هي بلاد ما بين النهرين وبلاد النيل ومناطق جنوب شبه الجزيرة العربية، ولأهميتها فقد قسم تاريخ المناطق المختلفة إلى مرحلتين:

١, ٢ مرحلة ما قبل الكتابة (عصر ما قبل التاريخ).

٢, ٢ مرحلة ما بعد الكتابة (العصور التاريخية).

وقد عُرفت الكتابة بأنها الأثر الذي يتركه الخط على المادة. وهي نوعان: كتابة منقوشة وتسمى Epigraphy، وإما أن تكون تكون خطأً وعندها تدخل في علم paleography؛ ويحدد ذلك الأداة التي تستخدم في التدوين والمادة التي تُنفَّذ عليها الكتابة.

## ٣. مراحل تطور الكتابة

### المرحلة الأولى: الكتابة التصويرية أو الصورية

في هذه المرحلة، كانت الأفكار تدوّن عن طريق الرسم، فيتم التعبير عن كل الأفكار برسمها مثلاً يعبر

الجديدة. كما تعد أوعية نقل المعلومات الأولية من أهم الأوعية والمصادر سواء كانت نقوشاً، أم مخطوطات كتب ودوريات... إلخ؛ فهي إضافة حقيقية جديدة لحصيلة المعرفة البشرية.

إذاً، من خلال ذلك نستشف متانة العلاقة بين علم المكتبات والمعلومات وعلم الآثار؛ إذ يمدنا علم الآثار بالمعلومات الخاصة بالمجتمعات القديمة، وطرق الحياة، والعادات والتقاليد في مختلف الحقب والفترات التاريخية؛ بينما نجد أن علم المكتبات والمعلومات يعمل على ترتيب هذه المعلومات بأدوات الترتيب المعيارية الموحدة، ثم حفظها بطرق علمية تسهياً لاسترجاعها وإتاحتها لمن يحتاج إليها. ومن يتعمق في دراسة العلوم وإرتباطاتها يجد أنها في الأصل كانت علماً واحداً، ثم بدأت تتفرع بعد ذلك، وأصبحنا نسمع باندماج العلوم وانشطارها ونجد أن لأي علم علوم متداخلة وعلوم مساعدة لكن الهدف النهائي لكل العلوم هو خدمة الإنسانية جمعاء.

كذلك يُعنى علم الآثار بدراسة الإنسان منذ بداية ظهوره على سطح الأرض، ودراسة مخلفاته من الأدوات التي صنعها، والأسلحة التي استعملها، والكهوف والمنازل التي عاش فيها، والقبور التي حوت رفاتة، ودور العبادة المختلفة التي تعبّد فيها، والكتابات التي دوّن بها أعماله، وغير ذلك؛ فالماضي إذاً هو مجال بحث علم الآثار ويشمل هذا الماضي كل العصور والفترات الزمنية التي عاشها الإنسان. من خلال ذلك يتبين لنا أهمية الكتابة والتدوين بالنسبة لعلم الآثار وكذلك لعلم المكتبات والمعلومات.

ويظهر الكتابة وتطور آلات الطباعة، ثم ظهور الحواسيب وشبكة الإنترنت، انفجرت المعلومات وأصبحت متوافرة بطرق ووسائل كثيرة جداً؛ لكن على الرغم من ذلك ما تزال هنالك حاجة ماسة للمعلومات التاريخية التي تعكس لنا طرق الحياة في الفترات والحقب التاريخية القديمة.

### المرحلة الرابعة: الكتابة الصوتية

هي نظام الكتابة القائم على ربط كل حرف من حروفه المكتوبة بصوت واحد معين. والكتابة بصفة عامة هي تعبير خطي عن اللغة، ووسيلة للقبض على الكلام المنطوق. وحتى الآن لا توجد معلومات دقيقة تبين أول من وضع الكتابة، لكن ذهب بعض الباحثين إلى أن الكتابة كانت موجودة منذ عهد آدم عليه السلام وأنه أول من كتب مستنديين في ذلك إلى قوله تعالى ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)). لكن من الناحية الزمنية تعد اللغة أسبق من الكتابة ولكن ظهور الكتابة جاء بعد فترة لاحقة (المؤذن ١٩٩٧: ٨).

#### ٤. مواد الكتابة وأدواتها:

منذ ظهور الإنسان على وجه الأرض وهو يدون أفكاره وحوادثه وما يتعلق بشؤون حياته اليومية، واستخدم لهذا الغرض مواد وأدوات مختلفة مما يتوفر في بيئته، مثل: العظام، والحجارة، والجلود، والأخشاب... الخ وتتوَّعت المواد واختلفت باختلاف العصور وحضارة كل عصر؛ فالبابليون والآشوريون استخدموا ألواح الطين، واستخدم قدماء الهند أوراق الأشجار، وكتب الصينيون على الحرير، كما كتب المصريون على نبات البردي؛ والإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية وفي السودان مثله مثل غيره استخدم في كتاباته مواد متوافرة معظمها في بيئته، مثل: العسب<sup>(١)</sup>، الكرانيف<sup>(٢)</sup>، العظام، اللخاف<sup>(٣)</sup>، الجلود، المهارق<sup>(٤)</sup>، القباطي<sup>(٥)</sup>، ورق البردي<sup>(٦)</sup>، الورق (المسفر، ١٩٩٩: ٢٥ - ٣٠)، واستخدم كذلك مجموعة من أدوات الكتابة أهمها الأقلام بمختلف أشكالها وأنواعها.

أما فيما يتعلق بالخط العربي، هنالك العديد من الروايات بشأن من الذي وضعه، لكن المؤكد أن الفينيقيين هم الذين اخترعوا أول أبجدية عرفها العالم قبل نحو ألف وسبع مئة عام قبل الميلاد، وتوجد مجموعة من الروايات أشهرها أن أصله إلهي توفيق أنزله الله على آدم عليه السلام؛ وهنالك من يرى بأنه

عن الإنسان برسم صورة إنسان والثور برسم ثور وهكذا، وتعد الكتابة التصويرية التي وجدت أمثلة منها على جدران الكهوف والمعابد والصخور وغيرها أول وسيلة استخدمها الإنسان لتدوين أفكاره (المسفر، ١٩٩٩: ١٢)، وبعد أن اكتشف الإنسان عجز هذه الطريقة في الكتابة كان لا بد من ظهور مرحلة جديدة، ومن هنا جاءت المرحلة الثانية.

### المرحلة الثانية: الكتابة الرمزية

في هذه المرحلة اعتمد الإنسان على استخدام رسم الأدوات والأشكال للدلالة على شيء مرتبط بها، والمقصود هنا بالرمز هو الرمز المعنوي للصورة، لا الرمز الناتج عن الحذف والتغير؛ فرسم صورة رجل يده في فمه ترمز إلى الجوع، وصورة الشمس ترمز إلى النهار، وصورة النجمة ترمز إلى الليل، وصورة الأسد ترمز إلى القوة والسيادة (صالح، ٢٠١٣).

### المرحلة الثالثة: الكتابة المقطعية أو الصوتية

لما كانت الكتابة الصورية غير قادرة في التعبير عن الأفكار المجردة أو عن الصيغ المختلفة للفعل استعملت علامات للتعبير عن الوحدة الصوتية أي تهيئة كلمات لعللاقة لها بالصور وقد تحقق ذلك عن طريق هذه الكتابة للتعبير عن الأفكار المجردة وصيغ الأفعال. ففي هذه المرحلة بدأت الكلمة الواحدة تتكون من عدة مقاطع يجمعها لفظ معين؛ فلكتابه كلمة (يدخل) مثلاً والتي تتكون من مقطعين هما (يد) و(خل) ترسم صورة يد أولاً لا لتدل على معنى اليد وإنما على صوتها، ثم يرسم الجزء الثاني وبذلك تتكون كلمة واحدة متكونة من صورتين لا علاقة بينهما غير رابطة إعطاء صوت واحد عند اجتماعهما في الكلمة المطلوبة، بعد ذلك تطورت هذه المرحلة من الكتابة لصعوبتها في التعبير وأصبحت الصورة ترمز إلى حرف واحد لا مقطع فلكتابه كلمة (عدو) مثلاً التي تتكون من ثلاثة حروف ترسم صور لعصفور ودب وصورة وردة، ومن لفظ أصوات هذه الصور يتكون صوت عدو.

التعرف على سمات الحضارة العربية والإسلامية، فهذا التراث هو الذي شكّل وجدان الأمة. وتعتبر مخطوطتنا العربية من أطول مخطوطات العالم عمراً وأكثرها عدداً، فمن ورائنا نحو أربعة عشر قرناً من التراث العربي المخطوط، وهو تراث لا يتوافر لأي أمة من الأمم ولا في أي لغة من لغات البشر، علماً بأن لغتنا العربية هي اللغة الوحيدة التي احتفظت بكل خصائصها ومقوماتها واستعصت على التحريف والتبديل، ويرجع ذلك إلى أنها لغة القرآن الكريم؛ قال تعالى في محكم تنزيله ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) (سورة الحجر: ٩)، وأيضاً لغة العبادة للمسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم، وارتباط اللغة بالدين أعطها صفة البقاء والخلود، وستبقى كما هي دون تحريف إلى أن يرث الله الأرض وما عليها لأن ذلك هو وعد الله الحق.

على الرغم من دخول الطباعة إلى الشرق في أواخر القرن الثامن عشر، إلا إن المخطوط ظل مستعملاً حتى انتشرت الطباعة في أواخر القرن العشرين نسبة لمجموعة من العوامل؛ نجمها في أن المسلمين كانوا لا يحبذون كتابة القرآن والسنة النبوية بالآلات، بل يعتمدون في ذلك على كل ما هو طبيعي، وأيضاً محدودية الطباعة وندرته في تلك الفترة، وعدم انتشارها بصورة واسعة، إضافة إلى وجود أعداد مقدرة من الناسخين العرب الممتازين في العالم العربي والإسلامي؛ ونجد أن هذه العوامل كانت هي السبب الرئيس وراء عدم استخدام الطباعة وانتشارها طيلة هذه الفترة والاعتماد على المخطوطات.

## ٥. الوثائق والمخطوطات

أي وثيقة مكتوبة بخط اليد تسمى مخطوطاً، وهذا المعنى لمصطلح مخطوط يقودنا إلى سؤال حتمي هو: ما هي الوثيقة؟ هي كل ما يخلفه الإنسان من أوراق وتسجيلات ومخطوطات وكتابات... الخ، من المواد الكتابية القديمة في كل أشكالها وأنواعها، بدءاً من

مشتق من الخط المسند الحميري، نسبة لقبيلة حمير، وهناك من أرجعه إلى أصل حيري أنباري، لكن المؤكد أن عرب الجاهلية كانوا على معرفة بالقراءة والكتابة، ومن أهم المصادر التي أثبتت ذلك قوله تعالى ((ن والقلم وما يسطرون)) (سورة القلم: ١) وغيرها من الآيات الكريمة مثل ((وقالوا أساطير الأولين أكتبها فهي تملى عليهم بكرة وأصيلاً)) (سورة الفرقان: ٥).

أما في السودان فقد اقترن ظهورها ببداية اللغة التصويرية المصرية، ثم الهيروغليفية بأنواعها المختلفة، ثم اللغة المروية، ثم اللغة النوبية، واللغة العربية. وترجع بداية التدوين باللغة العربية إلى بداية القرون الأولى الميلادية.

عندما جاء الإسلام ازدهرت حركة العلم والتعليم وبدأت البواكير الأولى للوثائق والمخطوطات العربية؛ لذلك، نجد أن هنالك ارتباطاً وثيقاً بين تاريخ المخطوط العربي وتاريخ كتابة المصحف، فقد كان القرآن الكريم أول مخطوط عربي بالمفهوم الدقيق لكلمة مخطوط، ولم تكن الكتابات العربية قبله سوى نقوش أو نصوص قصيرة لا تتجاوز أسطراً معدودة، ولا يمكن أن تتدرج تحت هذا اللفظ بحال من الأحوال، ونجد أن انتشار الإسلام كان من أهم أسباب انتشار الوثائق والمخطوطات العربية والإسلامية، إلا أن هنالك عوامل أخرى ساعدت على هذا الانتشار أبرزها:

١،٤ ظهور صناعة الورق في بلاد العرب وما نتج عن ذلك من انتشاره وسهولة تداوله بين الناس.

٢،٤ وجود حلقات الدرس وظهور مجالس الإملاء.

٣،٤ ظهور صناعة الورق وطبقة الورّاقين في المجتمع العربي.

٤،٤ الشغف الشديد بالقراءة، والإقبال على شراء الكتب بسخاء (الجلوجي، ٢٠٠٢: ٣٠١ - ٣٠٢).

لذلك، نقول وبكل ثقة إن أنفسنا وقيمنا ما تقتنيه مكتباتنا العربية هو التراث المخطوط، الذي يمكننا من

لتكون أكثر تحديداً في المعنى بسبب شمولها لأشياء أخرى تؤدي إلى بعض الخلط في معناها.

## ٦. علم الكتب المخطوطة

هو دراسة الكتب المخطوطة كأشياء مادية، وغالباً ما يشار إليها باسم علم آثار الكتاب؛ إذ يهتم هذا العلم بالمواد والطرق المستخدمة في صناعة الكتب وتجليدها، أي يهتم فقط بكل ما هو مادي.

## ٧. الباليوغرافيا أو علم الكتابة القديمة

يهتم بدراسة المخطوطات كمحتوى، فيُعرف بأنه دراسة الخطوط القديمة ومحاولة فك رموز المخطوطات القديمة وقراءتها.

## ٨. علم الفيلولوجيا أو علم النصوص القديمة

هو دراسة النصوص اللغوية دراسة تاريخية مقارنة، لفهمها والاستعانة بها في دراسة الفروع الأخرى التي يبحث فيها علم اللغة، كما يعني أيضاً الدراسة الشكلية للنصوص في المخطوطات، ولهذا العلم قسمان:

١، ٨ يختص بفك الرموز القديمة والاهتمام بالآثار.

٢، ٨ يهتم بتحقيق النصوص والمخطوطات بعبية نشرها. أما علم اللغة فهو يدرس المخطوطات والنصوص من جهة الجوانب اللغوية فقط (معجم المعاني ٢٠١٣).

## ٩. علم الكوديكولوجيا

لهذا العلم تعريفان؛ الأول، ضيق وهو أنه علم آثار الكتاب، واختصاصه دراسة المخطوطات من النواحي الخارجية؛ كالشكل، ونوع الورق، ونوع الحبر، وطريقة التجليد... الخ. والثاني، أوسع ويدرس تاريخ المخطوط ومحتواها وأهميتها الواقعية بالنسبة للناس، وغايتها خدمة النص المُحقَّق، وأن نستخلص منه النظريات والأحكام (بنين ١٩٩٤: ٧).

من خلال ذلك، يتضح لنا أن غاية هذا العلم هي دراسة كل ما يحيط بالمتن من حواشي وتعليقات

الرُّقم الطينية وأوراق البردي والرقوق ثم الورق ووسائل المعرفة الحديثة، من أفلام وأسطوانات وأشرطة... الخ، فالوثائق تنوعت وأصبحت تأخذ أشكالاً متعددة ومسميات مختلفة وتقسيمات متنوعة. هذا التعريف يدل على أن الوثائق يمكن أن تكون مخطوطة بخط اليد أو مطبوعة، لكن المخطوط سمي بذلك لأنه حُطَّ بخط اليد؛ إذ، ليس كل الوثائق هي مخطوطات، وإنما فقط ما حُطَّ منها بخط اليد يسمى مخطوطات.

إذا أخذنا جانب الوثيقة الكتابية بجوانبها المتعددة إذا كانت إسطورة أو نصباً تذكارية أو قصة أدبية أو وثيقة شرعية أو رسالة... الخ، فهي ذات أهمية للآثاري والمؤرخ إذ إنها تسهم في التوصل إلى معرفة تفكير الإنسان القديم وعلاقاته الاجتماعية وأوساطه الجغرافية وكذلك حالته النفسية (المؤذن ١٩٩٧: ١).

وعرفت الوثيقة بأنها هي السجل الذي يحمل بين دفتيه صورة الماضي بكل ما فيه من حدث وقول وفعل ورد فعل ولا توجد مادة أخرى يمكن أن تعكس لنا هذه المعلومات على النحو الذي تفعله الوثائق (زرزوق ١٩٨٠: ٢١)، وهذا يعني أن الوثيقة ليست كل ما دُوِّن على الورق ولكنها تشمل كذلك: الرسوم، والنحت، والنقوش، والتسجيلات الصوتية والمرئية، والعملات، والخرائط وما كتب على الأحجار والفخار والأنصبة وشواهد القبور... الخ.

أما إذا تحدثنا عن المخطوطات، فإن المجاميع الورقية تشتمل على أنواع مختلفة من الوثائق منها المخطوط أي الذي دُوِّن باليد، ومنها المطبوع التي جرت طباعته بالمطبوعة أو بالآلة الكاتبة، ومنها الصورة أو النسخة التي تنقل من الأصل. لكن تعد الوثائق التي تم تدوينها باليد «المخطوطات» ذات أهمية كبيرة لأنها تحمل معلومات مهمة ونادرة، وهذا النوع يمثل الجانب الأكبر من الوثائق، وإذا أشرنا إلى معناها الحرفي «إنها تعني أي شي كتب باليد سواء كان كتاباً أم كراسة أم ورقه أم حتى خريطه تم رسمها باليد (زرزوق ١٩٨٠: ٢١). وقد تمت إضافته كلمة تاريخية إلى المخطوطات

١٠, ١, ٢, المستندات التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بموضوع البحث، وتتضمن هذه الفئة الأدلة المكتوبة؛ سواء كانت مخطوطات حديثة، أم قديمة، والروايات الشفهية والوثائقية، والقوانين، والمكاتبات الرسمية، والمذكرات الشخصية، مثلاً، وكل ما كتب عن الموضوع المعين «المعلومات المخزنة»: كتب، ومجلات، إضافة إلى الخرائط والتسجيلات الصوتية والرسوم البيانية... الخ.

### ١٠, ٢ مصادر ثانوية

هي تمكّن من الحصول على المصادر الأولية كالتي ذكرناها سابقاً، وكذلك تلك المصادر التي ليست لها علاقة مباشرة بموضوع البحث، وهي معلومات أو بيانات لا يمكن وصفها بأنها أصلية؛ وهذه المصادر الثانوية يمكن أن تعد رافداً من روافد البحث وتهدف إلى تعريف الباحث بالمبحث التي أجريت عليه الدراسة، وقد تستخدم المصادر الثانوية في حالة عدم توافر المصادر الأولية أو بدعماً أو تكملتها.

### ١٠, ٣ مصادر من الدرجة الثالثة

يمثل هذا النوع من المصادر ببليوجرافية الببليوجرافيات bibliography of bibliographies وأدلة الأدبيات guide to the literature والتي تسجل في ثناياها معلومات عن الوثائق والمخطوطات والمطبوعات بأنواعها المختلفة عن موضوعات مختلفة. كما يشمل هذا النوع أيضاً المراجعات، والتي تلعب دوراً مهماً في إيصال المعلومات وتقييمها وتلخيصها (أمان ١٩٨٥: ٤٢).

### ١١. تقييم البيانات (المعلومات)

١, ١١ يجب أن يتم تقييم البيانات بعناية، ودقة متناهية.  
٢, ١١ يجب التأكد من أصالة البيانات، وذلك عن طريق التحقيق والمراجعة والمقارنة (في مجال الوثائق

وتفسيرات وإضافات... الخ، وكل ما من شأنه أن يساعد على التعريف بالمخطوط وصاحبه وتاريخه، وبمن تملكه وقرأه ونسخه، وبكل ما له علاقة بالمحيط التاريخي والجغرافي للمخطوط؛ وأخيراً دراسة الوعاء وطريقة صناعته وتركيبه، كالبحث في نوع الجلد والورق، وغيرها من الجوانب المادية والتقنية.

### ١٠. منهج التحقيق في دراسة الوثائق والمخطوطات

جرت عادة العاملين في مجال التحقيق العلمي للتراث العربي أن يعتمدوا في هذه العملية العلمية على نسخة أو نسخ متعددة من المخطوط الواحد أو الوثيقة الواحدة، بوصفها نسخاً تحتاج إلى شيء من التصحيح والتخريج والمقابلة، لتصل بهم إلى النسخة الأصلية أو إلى صورة قريبة منها، وهذا ما فعله البروفيسور يوسف فضل عندما حقّق كتاب الطبقات لود ضيف الله (بنين ١٩٩٤: ٣٣).

يلاحظ أن البحوث في مجال الدراسات الإنسانية تتعامل مع شواهد وأدلة لأفعال الإنسان وأفكاره الماضية، كما أن الملاحظة عامل أساس في العلوم الإنسانية، ويمكن الاعتماد عليها. فالمنهج يحتاج إلى اختبار المعلومات وإسباق الفروض وتعيين النتائج المتوقعة بصورة مبدئية، ومن ثم اختبار هذه التخمينات أو التوقعات والفروض، وتقسيم مصادر جمع المعلومات إلى ثلاثة حسب وجهة نظر علماء مناهج البحوث الإنسانية، هي:

### ١٠, ١ مصادر أولية

يُشار إليها بأنها تلك الوثائق الأصلية بالنسبة لموضوع الدراسة، والمعلومات المتضمنة في المصدر الأولي قد تكون جديدة كلياً، بمعنى أنها معلومات حديثة لم تظهر سابقاً في أي وعاء معلوماتي، ويمكن تقسيمها إلى الآتي:

١٠, ١, ١٠ المخلفات الأثرية لحقبة زمنية محددة.

المكتوبة).

بعد نتيجة البحث بشأن جمع المعلومات وتقييمها، يتم إخضاع هذه المعلومات أو البيانات للنقد الداخلي والخارجي، للتأكد من أنها صحيحة بحيث يتأكد من دقة المعلومات.

عموماً، يتطلب منهج التحقيق قدرة عالية في الإبداع ومستوى عالٍ من التحليل الموضوعي عند تقييم البيانات، كما يجب توخي الحذر في أن تكون صياغة الموضوع محددة ومعينة.

## ١٢. تاريخ الوثيقة العربية

أسس العرب قديماً وعرفوا أنواعاً كثيرة من الوثائق الديوانية وهي تلك الوثائق والأوراق التي تصدرها الدولة على كل مستوياتها وتأخذ الطابع القانوني والإداري، وتصدر بموجبها القرارات والقوانين وتقوم عليها الحجج القانونية، وعرفها المسلمون من عهد الخلفاء الراشدين، وأول من ابتدعها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (نحو سنة ٢٠ هـ)، فكان أول من أقام ديوان الجند وأنشأ أول خزانة للوثائق أطلق عليها بيت القراطيس.

وبعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتوسّعها وتعاقب الخلفاء والولاة والحكام، أنشئت دواوين عدة؛ فكان هناك: ديوان الخراج، وديوان الجند، وديوان البريد، وديوان الرسائل (الإنشاء). وكان يتم اختيار رؤساء الدواوين من بين العلماء والأدباء، وبخاصة كتّاب الرسائل، حتى أن بعض الكتّاب تولى منصب الوزارة، وبخاصة في العصرين العباسي والفاطمي؛ وقد تركت لنا تلك الدواوين ذخيرة قيّمة من الرسائل، سجلها مؤلفون، أمثال: الطبري، واليعقوبي، وابن الأثير، وابن خلدون.

أما وثائق ما قبل الإسلام، فيقال بأنهم وجدوا مثلاً في الكعبة المشرفة بعض الأوراق. وذكر ابن النديم في الفهرست أنه أطلع على رقعة فيها دَين لعبدالمطلب

على أحد التجار. ومعروفة عادة وضع المعلقات على جدران الكعبة، كذلك هناك النقوش الحجرية التي ما تزال موجودة في الحجاز، والرُّقْم الطينية في بلاد الرافدين، والبرديات في الحضارة الفرعونية، والرق في الحضارة الرومانية، وجميعها تعد وثائق من عصور ما قبل الإسلام، ودور العرب المهم في اكتشاف الورق أدى إلى انتشار الوثائق ثم الطباعة، ثم وصول الوثائق إلى الأندلس، ومنها إلى إيطاليا وفرنسا وسائر أوروبا، ثم أتى غوتبرغ بألة الطباعة اليدوية وطبع أول إنجيل في القرن الخامس للميلاد، ومن هنا انطلقت مرحلة جديدة في تاريخ البشرية وظهرت الوثائق المطبوعة، ثم تتالت التطورات في التقنية، ما أدى إلى ظهور الوثائق الحاسوبية والإلكترونية.

## ١٣. أهمية النصوص الكتابية الوثائقية والمخطوطة

تعد النصوص الكتابية سواء كانت وثائقية أم مخطوطات، ذات أهمية متعددة:

### ١٣، ١ القيمة الفنية

تظهر هذه القيمة الفنية على المواد التي كتبت فيها سواء نقشت في أحجار (نصوص ملوك السودان القدماء)، أو الفخار، أو الجلود. وقد اشتهرت بلاد النوبة في فتراتنا القديمة بكتابات النقوش على الحجر ويظهر فيها أشكال متنوعة، وقد امتاز العرب بفن التذهيب، المكوّن من الزخارف النباتية أو الهندسية؛ واهتم المسلمون بالجانب الخارجي للمخطوطات المصورة، وشاع استخدام الجلد في التدوين العربي واحتوت كذلك النصوص الوثائقية القديمة لملوك وادي النيل على صور الملوك والمعبودات، وقد شهدت معظم الفترات الحضارية في النوبة العديد من الفنانين والنحاتين والرسميين.

### ١٣، ٢ القيمة الثقافية والحضارية

يحتوي هذا الجانب على الإنتاج الفكري والثقافي والحضاري؛ فهي تشمل توثيق الجوانب الثقافية التي

الكلاسيكيين.

١٤, ٤ مؤرخو العصور الوسطى.

١٤, ٥ المؤرخون والجغرافيون العرب.

١٤, ٦ كتابات الرحالة الأوربيين في بداية الفترات الحديثة (66: Adams 1977).

### ١٥. مراحل ومصادر تكوّن الوثائق السودانية

المرحلة الأولى: فترات الوجود المصري في السودان وفجر التاريخ.

تشمل هذه المرحلة فترة الوجود المصري في السودان من خلال الممالك المصرية الثلاث، القديمة والوسطى والحديثة (٣١٥٠ ق م - ١٠٧٥ ق م) وكذلك فترة حضارة كرمة (٢٥٠٠ ق م - ١٥٠٠ ق م).

ومن أهم الأدلة التي أشارت إلى أهمية بلاد السودان في هذه الفترات، هو ذلك النص التصويري الذي وجد محفوراً في جبل الشيخ سليمان جنوب بوهين والخاص بالملك «جر» Jer والموجود حالياً بمتحف السودان القومي بالخرطوم (الشكل ١)، ويعد هذا النص ذا أهمية كبيرة في دراسة تاريخ السودان؛ ويرجع تاريخه إلى فترة أوائل الأسر المصرية في الألف الرابعة قبل الميلاد. بعد هذه الفترة يلاحظ استمرار بلاد النوبة السودانية في الازدهار الاقتصادي، وفي فترة الملك

مرت بها المجتمعات في بلاد النوبة، وتتعلق هذه الجوانب بالأوضاع السياسية ونظم الحكم في الممالك النوبية القديمة، وكذلك الحياة الاجتماعية والأوضاع التي كانت عليها بلاد السودان في الفترات القديمة. وتظهر في هذا الجانب العديد من النصوص التي دوّنت بواسطة الملوك القدماء التي تشير إلى تصيبهم في الحكم، وفي الفترات التي تلت قيام مملكة الفونج، وهناك مخطوطات مختلفة أشارت إلى الجوانب الثقافية والحضارية التي كانت سائدة لدى المجتمعات السودانية في تلك الفترة.

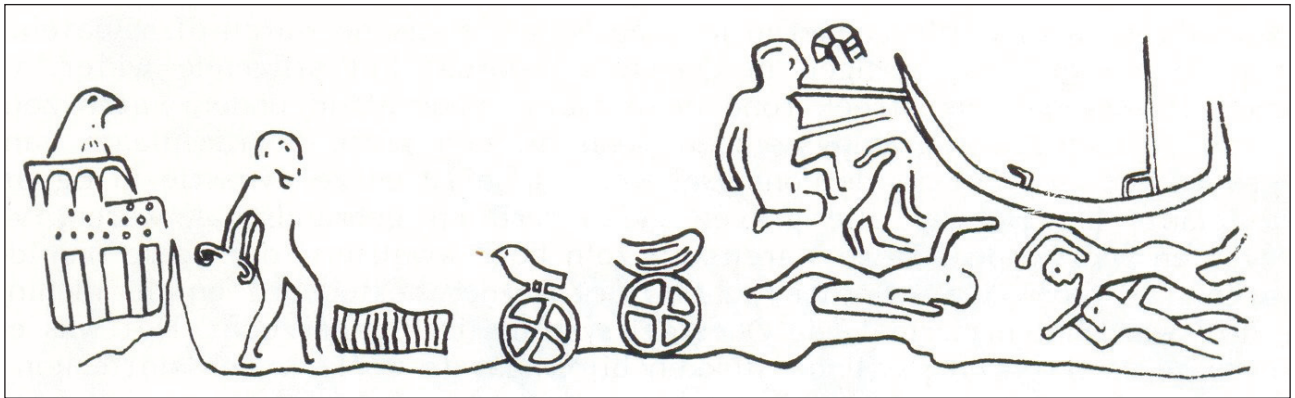
### ١٤. دور النصوص الوثائقية في دراسة بلاد السودان في (الفترات القديمة)

كان لكتاب واليس بدج (The Egyptian Sudan) أثر كبير في معرفة المصادر التاريخية لبلاد النوبة، وعلى الرغم من مضي عشرات السنوات على هذا الكتاب، إلا إنه يعد من الكتب التي أرّخت وأسهمت في معرفة التاريخ الثقافي والحضاري لبلاد النوبة السودانية، وقد أشار هذا الكتاب إلى ستة مصادر أساسية كان لها أثر كبير في التعريف بالسودان القديم، هي:

١, ١٤ النصوص الهيروغليفية المصرية من الأسرة الثانية حتى الأسرة العشرين.

٢, ١٤ النصوص الهيروغليفية النوبية لملوك دولة نبتة.

٣, ١٤ الكتابات الجغرافية والتاريخية للكتاب



الشكل ١: النص التصويري في جبل الشيخ سليمان جنوب بوهين والخاص بالملك «جر» Jer والموجود حالياً بمتحف السودان القومي بالخرطوم





اللوحة ١: لوح الملك كاموس، ثاني ملوك الأسرة السابعة عشر الذين انتزعوا الحكم من الهكسوس.

زمن الملكة حتشبسوت بمعبرها بالدير البحري بالاسم نفسه (بكر ١٩٩٨: ٥٣).

#### ١٧. قيام دولة كوش

تشير الوثائق إلى أن كوش أصبحت دولة مستقلة خلال ١٥٣٠ - ١٥٨٠ ق.م، وقد سميت باسم دولة كوش، وكان يديرها حاكم من أهلها، عرف في تلك الفترة باسم حاكم كوش مضاهياً ومساوياً لأكبر دولتين في تلك الفترة (دولة المصريين في فترة الأسرة السابعة عشرة والتي حكمت من طيبة وأمتدت من أسوان حتى حدود مصر الوسطى شمالاً ودولة الهكسوس، والتي كانت تسيطر على كل من الدلتا ومصر الوسطى. هنا، تجب الإشارة إلى أن المصادر التي تحدثت عن كوش وقيامها كدولة في شمالي السودان كانت كلها مصادر

«خع سخم» أحد ملوك الأسرة الثانية وجد له نص يصور تسجيله لانتصاره على أهل الجنوب (تاسيتي). يلاحظ أن هذا النص من أقدم النصوص التصويرية التي تمثل سكان منطقة بلاد النوبة في الوثائق المصرية، وهذا يقودنا إلى الإشارة إلى القوة التي كانت تهدد الملوك المصريين، وإلى خصوصية بلاد النوبة في تلك الفترة.

ومن أهم النصوص التي ألفت بعض الضوء على تاريخ بلاد النوبة في تلك الفترة «فترة الأسرة المصرية الرابعة وأهالي حضارة المجموعة (أ) في السودان»، هو نص الملك سنفرو والذي يحكي فيه أنه قد قام بالهجوم على بلاد النوبة وقد أسر نحو سبعة آلاف أسير وأخذ نحو ٢٠٠ ألف رأس من الماشية (Adams 1977: 138)، (بكر ١٩٩٨: ٣٤).

وعلى الرغم من ضخامة الأعداد التي أشار إليها النص والحذر الشديد في الاعتماد على المصادر المصرية، إلا أن هذا يعكس جانباً مهماً في تاريخ بلاد النوبة فهذا النص يشير إلى الوضع الاقتصادي القوي في تلك الفترة والذي تمتعت به بلاد النوبة وكذلك الأعداد السكانية الكبيرة التي مثلت مصدر قوة في الدفاع عن أرضها.

#### ١٦. دولة كوش من خلال النصوص القديمة

من أهم النصوص التي أشارت إلى ظهور اسم كوش بصورة مؤكدة هو النص الذي وجد في بوهين والمحمفوظ حالياً في متحف فلورنسا بإيطاليا (رقم ٢٥٤٠، ١٥٤٢) والذي يعود إلى فترة الملك سنوسرت الأول أحد ملوك الدولة المصرية الوسطى، وقد ورد في هذا النص اسم كوش بالنقطة (كاس) على قائمة المناطق الواقعة جنوب مصر، أيضاً هنالك نص ظهر في فترة الملك سنوسرت الأول ورد فيه اسم كوش مرتين على أنه (كاس) في مقبرة سارنبوت الأول Sarenput على صخور جزيرة صغيرة في أسوان، وكذلك ورد مرة أخرى في

ومن أهم النصوص التي ترجع إلى تلك الفترة لوح الملك كاموس ثاني ملوك الأسرة السابعة عشر الذين انتزعوا الحكم من الهكسوس (الشكل ١).

أيضاً نجد نسخة أخرى لهذا الملك مكتوبة على اللوح المدرسي المعروف باسم كارنارفون (لوكلان ١٩٩٧: ٤٦)، إذ يشير النص إلى قيام دولة مستقلة في كوش حدودها الشمالية.

### المرحلة الثانية: الفترات التاريخية

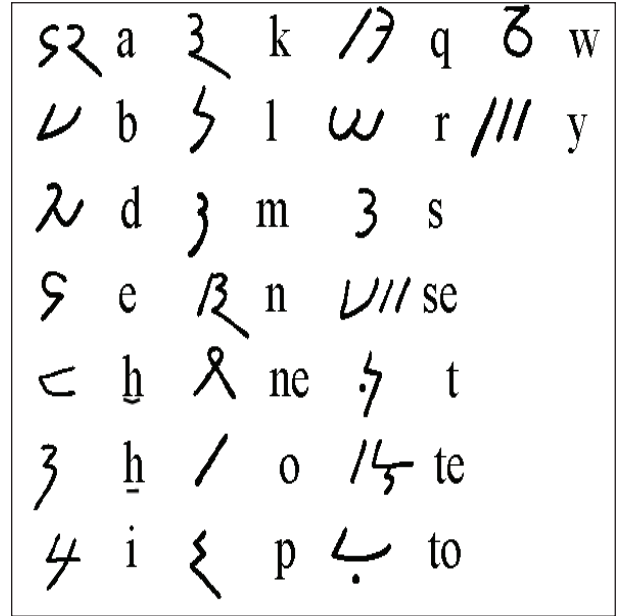
وتشمل فترة مملكتي نبتة ومروي (٧٥٠ ق م - ٣٥٠ م) ومن أهم المصادر التاريخية خلال هذه الفترة تلك النقوش الوثائقية الملكية التي وجدت على معابد نبتة والكوة، وقد كتبت باللغة المصرية، وهذه النقوش تشير إلى استغلال حكام نبتة بالحكم ودورهم في المجتمع، كما أشارت هذه النقوش إلى الدين الرسمي وأشكاله المختلفة، بل بطريقة أخرى أوضحت هذه النقوش البنية الاقتصادية والوضع الاقتصادي والتاريخ السياسي.

توجد خمسة نصوص توضح مراسيم اعتلاء الملوك للعرش في هذه الفترة، والممارسات الثقافية التي كانت

مصرية؛ ما يعزّز موقفنا في الإشارة إلى قوة بلاد النوبة الحضارية في تلك الفترة والاعتراف بها من قبل أعدائها وجيرانها.



اللوحه ٢: لوح الملك بعانخي تسجل انتصاراته على أمير سايس تف نخت وحلفائه



الشكل ٢ اللوحه ٣: نماذج للكتابة المروية



اللوحة ٤: نقش الملك المروي تانيداماني ١٠٠ ق م

وفترة نشوء الممالك النوبية المسيحية وازدهارها واطمئنانها؛ وهي: نوباتيا، والمقرة، وعلوة، بجانب قيام بعض الإمارات الإسلامية الصغيرة آنذاك.

من أهم النصوص التي وجدت بعد زوال دولة مروي وتدهورها نص الملك سليكو آخر ملوك النوبيين، (اللوحة ٥، أ، ب)

ولعل نص الملك عيزانا الذي أشار فيه لهجومه على مروي يؤكد وجود الدولة المروية وقوتها الحربية في تلك الفترة (اللوحة ٦).

أما الفترات المسيحية التي تلتها فهي تعد من أكثر الفترات التي وجدت فيها النصوص؛ سواء مكتوبة أو مرسومة أو جداريات مختلفة، مثل نصوص قصر ابريم وفرس التي تمثلت في شكل نصوص وجدت مكتوبة على جدران الكنائس أو الأديرة، وكذلك المخطوطات. وأول ما يطالعنا لهذه الفترة من أحداث هي أخبار تكوين الدويلات المسيحية الثلاث التي ذكرها مؤرخو وجغرافيو العصور الوسطى. أمثال: المقرزي، وابن سليم الأسواني.. الخ.

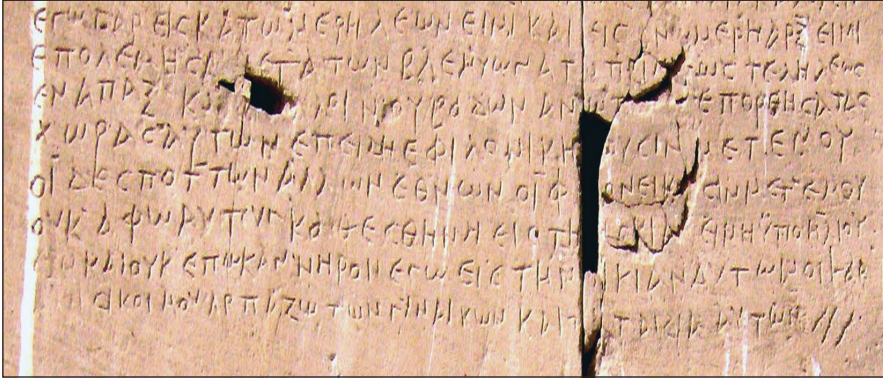
وقد قامت خلال الفترة الوسيطة بعض الإمارات والممالك الإسلامية الصغيرة، إذ عرف السودان الإسلام منذ بدء فجر الدعوة النبوية الشريفة، وفي

تصاحب هذا التتويج، وكذلك تشير هذه النصوص إلى كيفية بناء المعابد والقرايين المقدمة إلى الآلهة وكذلك الحملات العسكرية، وقد نقشت ثلاثة منها بعد تنصيب الملوك وهي نصب وجد في (الكوة) ونصب الانتخاب الذي وجد في (نبتا) ونقش أبريكة أمانوتة في موقع (الكوة ٩). أما النصان الآخريان فقد كتبا كتقريين متأخرين، معهما نصب آخر في موقع صنم أبو دوم أشار فيه إلى مدفن أبناء الملك ببيي وقد قام الملك بصيانتها (بريزة ١٩٩٧: ٧٢) (اللوحة ٢).

أما فيما يتعلق بالفترة المروية، فقد أشارت العديد من الجداريات المروية المختلفة للنشاط السياسي والاقتصادي لملوك هذه الفترة رغم أنها قد صممت مصادرها لفترة ليست بالقصيرة. ولمعرفة المزيد عن أهمية النصوص المروية قام بعض العلماء بدراسة اللغة النوبية، واستطاعوا وضع بعض القواعد الخاصة بها معتمدين على النصوص التي وجدت لهذه اللغة في أوائل القرن العشرين (الشكل ٢، اللوحة ٣)، ولكن لم تكن بالمستوى الذي درست به اللغات القديمة في وادي النيل، ويعزى ذلك إلى قلة النصوص المروية، ولكن هنالك بعض الاكتشافات المهمة في بلاد النوبة السودانية أهمها ذلك الكتاب الذي وجد على بعد ثلاثين متراً شمال وادي حلفا، وقد كان هذا الكتاب من الجلد ويتكون من خمسة وعشرين صفحة كما أنه كان بحالة جيدة، وكذلك اكتشف رق في جزيرة عبكة على بعد ٢٥ كيلو متراً جنوب وادي حلفا، وكذلك عثر على وثائق في جزيرة أثيري في منطقة الشلال الثاني، وهذه النصوص سيكون لها الفضل الكبير في معرفة اللغة النوبية القديمة بجانب المعلومات التاريخية التي يمكن الحصول عليها من هذه النصوص (اللوحة ٤).

### المرحلة الثالثة: فترة العصور الوسيطة

تعد الفترة الوسيطة من المراحل المهمة في تاريخ السودان الثقافي والحضاري، وقد امتدت ما بين ٣٥٠م-١٥٠٥م وتشمل فترة حضارة ما بعد مروي



اللوحه ٥ أ، ب: نص الملك سليكو آخر ملوك النوبيديين.



اللوحه ٦: نقش الملك عيزانا الذي أشار فيه لهجومه على مروى ملك نوبي مسلم على السودان، الأمير سيف الدين عبدالله برشمبو في عام ١٣١٧م (عبدالرحمن ٢٠٠٥: ١٧-٢٥).

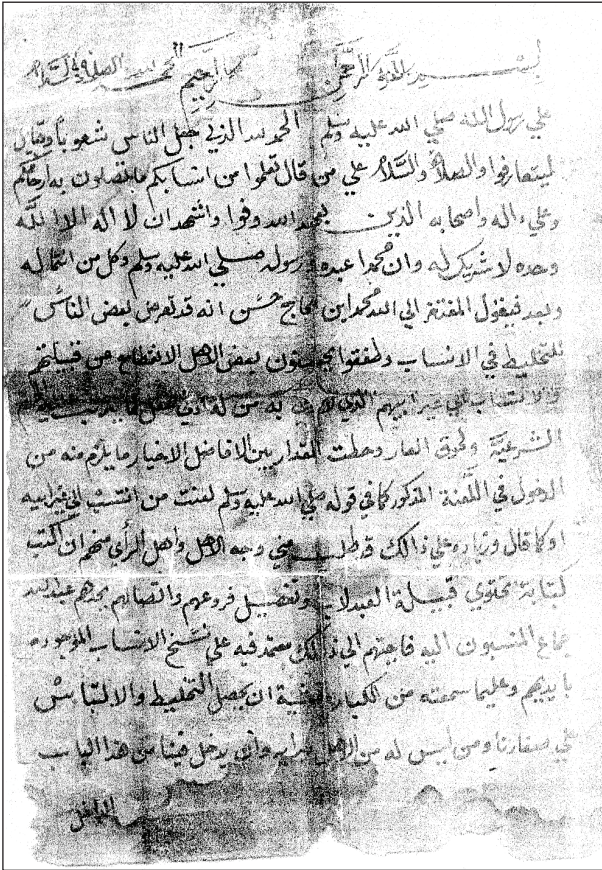
### المرحلة الرابعة: فترة الممالك والسلطنات الإسلامية

قامت بعض الممالك والدويلات الإسلامية في السودان منذ أواخر القرن الرابع عشر الميلادي؛ مثل: مملكة الفور، ومملكة سنار، ومملكة تقلي، ومملكة المسبغات، وغيرها. وقد خلف حكام تلك الممالك مجموعة من الوثائق التي تمت بأمر الحكام والتي نظمت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ذلك الوقت. واهتم السودانيون بوثائق النسب فقد كانوا

عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وولاية عمرو بن العاص على مصر، كانت هناك أول حملة إسلامية على أرض النوبة في حوالي سنة ٢١ للهجرة، والثانية في عهد عبدالله بن أبي سرح القائد العربي، الذي عقد مع النوبة معاهدة عرفت بـ عهد «اتفاقية» البقط في العام ٦٥٢م، و«كلمة البقط مأخوذة عن البيزنطيين وتعني المعاهدات والاتفاقات التي تعقد بين جماعة وأخرى»، بينما تعني في اللغات النوبية القديمة «القسم» أو «الاتفاق».

هذه الاتفاقية كانت معاهدة سياسية تجارية تعهد فيها الطرفان (النوبة والمسلمين) على عدة بنود، مثل: عدم تعدي كل من الدولتين على حدود الأخرى، والمحافظة على كل من يذهب لأغراض أخرى كالتجارة مثلاً. وقد أشارت إلى الأوضاع التي كانت سائدة في بلاد النوبة. إذ أوضحت الوضع الاقتصادي والسياسي والثقافي لمجتمع النوبة في هذه الفترة.

واستمرت تلك المعاهدات أو الهدنة بين النوبة والمسلمين عدة قرون، تم بموجبها دفع جزية سنوية لخليفة المسلمين، وأخيراً تمكن المسلمون من الاستيلاء على أرض النوبة وتكونت أول دويلة إسلامية في السودان (اللوحه ٧)، وبفضل القرآن وانتشار اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية تأسست مجموعة من الإمارات الإسلامية الصغيرة، مثل إمارة السكراب في منطقة الشلال الثالث، وبعض الإمارات في منطقة دنقلا العجوز خلال الفترة التي شهدت تنصيب أول



حريصين جداً على إثبات نسبهم وتوصيل هذا النسب إلى قبائل في الجزيرة العربية أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء، وأصبحت أشجار النسب لها مكانة مقدسة لدى الأحفاد وتوارثوها جيلاً عن جيل (عبدالرحمن ٢٠٠٥: ١٧-٢٥).

وقد لعبت المخطوطات في هذه الفترة دوراً كبيراً وأسهمت أسهاماً واضحاً في توضيح الحالة الثقافية للمجتمع السوداني، كما أشارت إلى نوع العلاقات بين أفراد المجتمع والسلطات الحاكمة آنذاك. ويظهر بوضوح إسهام المصادر المكتوبة في دراسة الثقافة السنارية، وثقافة الممالك الإسلامية في منطقتي دارفور وكردفان، وهذه المصادر كانت بعض المخطوطات تمت كتابتها بواسطة بعض السودانيين مثل ود ضيف الله وكاتب الشونة ومصادر دراسة تاريخ دارفور، وكذلك بعض كتابات الرحالة الأوربيين مثل جون لويس بوركهاردت، وجيمس بروس وآخرين (عبدالرحمن ٢٠٠٥: ٢٥).

اللوحه ٧: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملكها وقتئذ من ملوك الفونج وما حصل في مدينتهم زمن هذا ومن تولى بعدهم. ص: ١، ٣ / 15 / 191 Misc / 1 (دار الوثائق القومية - الخرطوم)

كما تناول في كتابه ترجمة للمتصوفة والعلماء وقراء القرآن وبعض الشعراء والأدباء، علاوة على ما تضمنه من الإشارات إلى السلاطين والوزراء والولاية بالولايات المختلفة، والإفادات القيمة عن النظم الإدارية والاجتماعية والسياسية والدينية، إلى جانب العادات والتقاليد والأعراف بين طوائف المجتمع السناري (بشير ٢٠١٢).

#### ١٩. مخطوطة كاتب الشونة:

تركز هذه المخطوطة على تاريخ (مدينة سنار) وقد قام بجمعها وكتابتها أحمد الحاج، المعروف بكاتب الشونة، وقام بالتحقيق فيها كل من الشاطر البصيلي عبدالجليل ومكي شيبة (عبدالجليل ١٩٥٥: ٧٦).

#### ١٨. مخطوطة طبقات ود ضيف الله

يعد كتاب الطبقات في نصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان من أهم المصادر التي أسهمت في إلقاء الضوء على الأوضاع الثقافية للمجتمع السوداني في تلك الفترة، وهو من تأليف محمد بن النور ابن ضيف الله، وقد اعتمد في كتابه هذا على الروايات الشفوية، ويعد الكتاب غاية في الأهمية لعدة أسباب؛ يأتي في مقدمتها أنه من المصادر الأولية المهمة في تاريخ سلطنة الفونج (١٥٠٥ - ١٨٢١م) (اللوحه ٨)، إذ ورد بين ثناياه العديد من الإشارات التي تبين حياة التصوف، والسلوك الاجتماعي في الدولة، ومكانة الأولياء والمتصوفة في الحياة الاجتماعية والسياسية، مع الإشارة إلي نظمهم التربوية من حلقات للعلم والذكر وخواوي للفقهاء والقرآن، وهو يتناول فترة من أخصب فترات التاريخ بالسودان حيث وضعت الأسس المبكرة الأولى للإسلام ونفوذه الدعوي والثقافي في البلاد.

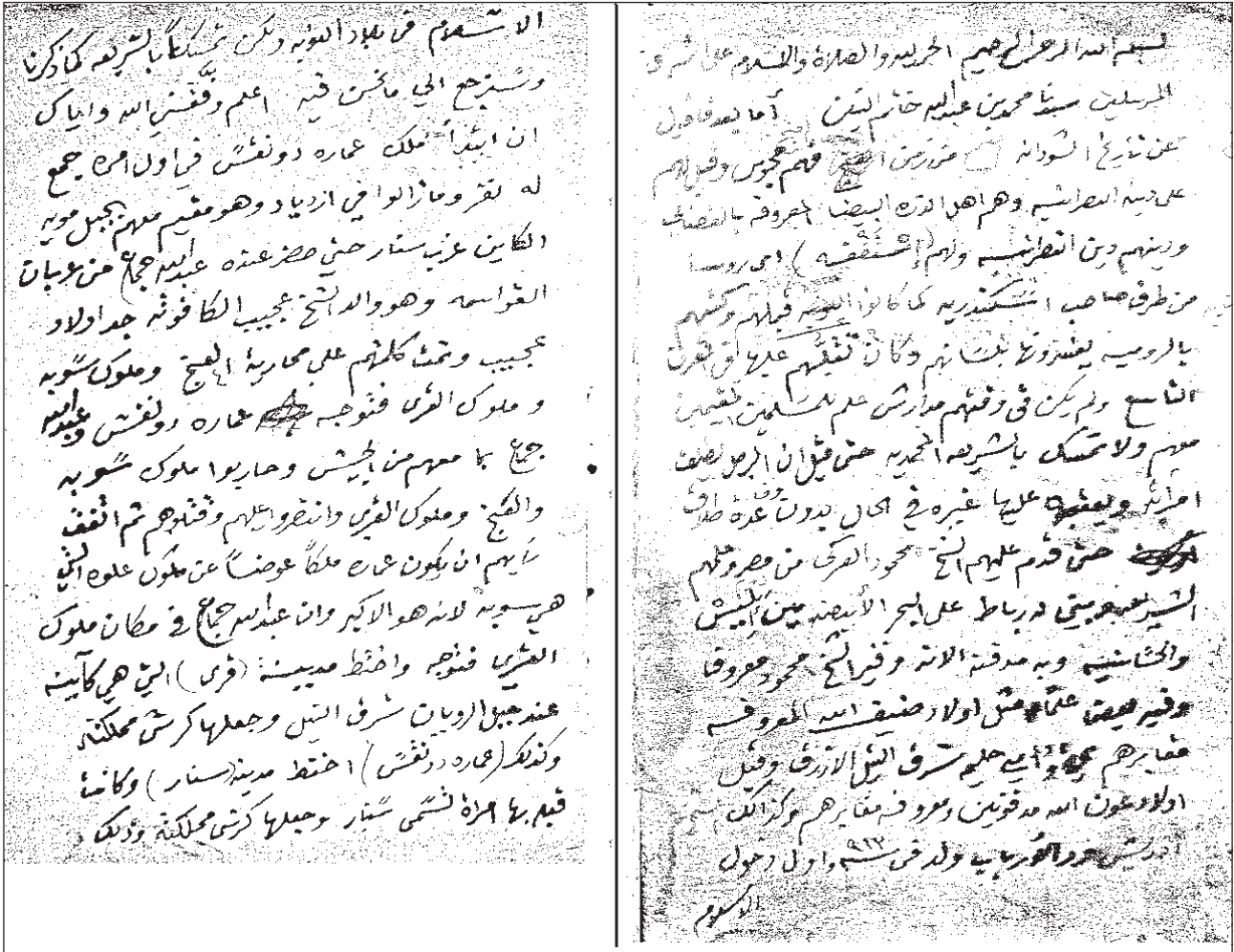
هنالك العديد من المصادر الوثائقية التي أشارت إلى الأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في منطقة دارفور في القرن التاسع عشر، وبسبب قلة التحقيق والدراسة تعرضت هذه الوثائق إلى عدم إسهامها في دراسة الأحوال الاجتماعية والثقافية؛ لكن هنالك بعض الدراسات التي ألفت الضوء على الأوضاع السياسية في هذه المنطقة، مثل دراسة موسى المبارك (تاريخ دارفور السياسي ١٨٨٢-١٨٩٨م)، وهي تعد من الأعمال المهمة التي أسهمت

وقد أشارت هذه المخطوطة كذلك إلى دور العلماء في الحياة الثقافية في تلك الفترة من الدولة السنارية. وهنالك العديد من المخطوطات التي لم تنشر أو تُحَقَّق مثل مخطوطة تاريخ العبدلاب، وكذلك العديد من الوثائق التي ترجع إلى هذه الفترة بعضها تمتلكه بعض الأسر والأفراد، ومعظمها وثائق تملك للأراضي، ووثائق تتعلق بالطرق الصوفية.

## ٢٠. مصادر دراسة تاريخ دارفور

في كتابه العزيز فعول والله التوفيق الـ حق  
 اده عليه السلام واذا قال ربك للملك اني  
 صدقين وانا اذ قال ربك للملك اني خالق الاله الاله  
 تعالى الابليس تعالى في حق نوح انه كان عبدا شكورا  
 ووقه تعالى في حق ادم عليه السلام انه كان صديقا نبيا  
 الاله الاله في قوله تعالى وبكيا وقال تعالى في حق ابراهيم واولاده  
 وذلوق وزوجته علم السلام اذ قال لابيها يا بني قوله تعالى  
 مليا في قوله تعالى في حق ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليفا  
 وقال تعالى ان ابراهيم كان امته قانتا له حنيفا الى قوله تعالى  
 وانه في اخره لمن الصالحين وقال وهبنا له اسحق  
 ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وقال تعالى في حق ابنه  
 انه كان صادقا الموعد الي رسولا نبيا وكذا الذي مرينا  
 في مدح المرح واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب  
 اذ لا اله الا قوله تعالى وكل من الاخير فخر اخبرناهم في الدار  
 الاخرة وان للمتقين لحسن مآب الاية الي قوله تعالى ليوم الحساب  
 في حق يوسف عليه السلام رب قد انبئني الملك  
 الاية الي قوله تعالى والمتقين بالصالحين يحسن  
 واخبر عن ابراهيم عليه السلام في سؤاله ان يكشف  
 الضرب ويرد اليه اهله وولده بقوله تعالى وايوب اذ نادى به  
 الاية الي قوله تعالى العابدون وقوله تعالى انا وجدته صابرا  
 نعم العبد انه اواب ايم مطيع واخبر عن ذنون عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم  
 والوجه وسام اعلم العظماء عن النبي والشركاء  
 النبي شهدت بوجدانية الفهجا والعمى السميع البصير الذي  
 لا يجيب عن سمعه وبصره موجودا وما وشهد ان سيدنا ومولانا  
 صابيا الله عليه وسلم افضل من في الارض والسما شهادة  
 بزكوا بها القوادير وتوسل بها بعد الظلم فقد سألني جماعة  
 من الاخوان افاض الله عليا وعليهم سمايب الاحسان واسكننا  
 وياهم اعدا فرديس الجنان عرمت سيد ولد عدنان ان اخرج لهم  
 ملك السودان واذا كروا قب ما فيهما من الاعيان سوالهم  
 بعد الاستخارة الواردة في السنة والالهام ولم يكن لاسلافنا  
 واسلافهم وضع في هذا الشأن الا ان اخبارهم متواترة عند  
 الخاص والعام منها ما بلغ التواتر عندهم فاحببت ان اذكر ما اشتهر  
 وتواتر من تلك الاخبار وذلك لان الخبر التواتر عند الصوابين  
 من الاقسام اليقينية التي تغيد العلم بالنبي وتنفيد عند الشك  
 والظن والوهم فاقدمت بجماعة من الحديث والفقه والورع  
 فانهم الفوائف التاريخ والمناقب عبد الفغار الفارسي في  
 تاريخ نيسابور في كتاب حسن المحاضرة  
 في اخبار مصر والقاهرة الف كتاباتي مناقب علماء  
 محصوه لاسيما الدرر الكامنة في اعيان الائمة الثامنة  
 القر الفلكنة اسماء نفع الطيب في اخبار ابن العربي ثم ينبغي لنا  
 قبل الشروع في هذا العمل ان نشكر الله الذي هدانا لهذا  
 ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والحمد لله رب العالمين



اللوحة ٩: مخطوطة تاريخ الفونج والعهد التركي. ص: ١-٢ / 661 / 32 / 1 / Misc (دار الوثائق القومية - الخرطوم)

### المرحلة السادسة: فترة الدولة المهديّة

بعد نجاح الثورة المهديّة في السودان بقيادة الإمام محمد أحمد المهدي (١٨٨٣ - ١٨٩٨م)، خلفت تلك الفترة وثائق الدعوة والمراسلات بين المهدي وقواد الجيوش وحكام الولايات والعلماء، وتعد الآن وثائق المهديّة من أضخم المجموعات التي تحتفظ بها دار الوثائق في الخرطوم، ودار الوثائق المصرية في القاهرة، ودار الوثائق البريطانية في لندن، وبعض المكتبات الجامعية في بريطانيا.

في هذا الجانب، يُلاحظ أن هنالك العديد من الوثائق التي أشارت بصورة واضحة إلى الأوضاع

في دراسة التاريخ السياسي لدارفور من خلال الروايات الشفوية والوثائقية الخاصة بهذه المنطقة، فقد أشارت إلى دور سلاطين الفور في إدارتهم للحكم في تلك الفترة (المبارك ١٩٦٠).

### المرحلة الخامسة: فترة الحكم التركي المصري

فترة الحكم التركي جاءت بعد سقوط سنار سنة ١٨٢٠م، وفي عهد محمد علي باشا عندما أرسل ابنه إسماعيل لغزو السودان بدأ عصر الوثيقة الحديثة التركية المصرية نحو سنة ١٨٨٢م، وخلفت وثائق الإدارة والجيش والولايات والقوانين وكثيراً من وثائق إدارة الدولة، ومعظمها موجود الآن في أستانبول والقاهرة (اللوحة ٩).

مدني إلى نظام عسكري، ومن ديمقراطي إلى شمولي (عمر، ٢٠١٣: ٥ - ٦).

### الخلاصة

لعبت الوثائق والمخطوطات دوراً كبيراً وبارزاً بالتعريف بتاريخ السودان الحضاري والثقافي، منذ الفترات القديمة والوسيطة وما بعد الوسيطة. وهذه الدلائل المكتوبة تشير إلى القوة الفكرية والثقافية لإنسان السودان منذ فترات بعيدة. وكان هناك اقتران للأوضاع الثقافية والحضارية بمصر منذ فترات بعيدة، وذلك بسبب البيئة الجغرافية، وكذلك اللغة المشتركة في بعض الفترات القديمة. وهي في مجملها تمثل قمة الإبداع الحضاري والثقافي الذي ظهر خلال فترات كرمة، ونبته، ومروي؛ وكذلك من خلال الإبداع الذي انعكس في وثائق ومخطوطات هذه الفترة، ثم من بعد جاءت المسيحية والإسلامية.

وذلك يؤكد إمكانية توظيف الوثائق والمخطوطات في صياغة الأحوال الثقافية السابقة والمعاصرة في السودان، ودراستها من خلال تلك الوثائق والمخطوطات.

الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية في السودان في فترة دولة المهدي، وهذه الفترة تعد من الفترات الغنية بالوثائق؛ وذلك لأثرها الكبير الذي امتازت به في مجال المكاتبات التشريعية والسياسية والاجتماعية التي ظهرت في كثير من دراسات الباحثين، أمثال محمد إبراهيم أبو سليم «المرشد إلى وثائق المهدي»، وهذه الوثائق قد أشارت إلى الأحوال الاجتماعية في فترة الدولة المهديّة وكذلك الأحوال الثقافية التي ظهرت في مكاتبات المهدي (أبو سليم ١٩٦٦).

### المرحلة السابعة: فترة العصر الحديث

هي فترة الانتداب البريطاني على مصر والسودان ١٨٩٨ - ١٩٥٥م، وخلفت وثائق بكميات هائلة تتوزع على القطاعات الإدارية والقانونية، والتي تعالج مختلف المجالات، وهي محفوظة في دار الوثائق القومية في مصر والمكتبات البريطانية في لندن.

### المرحلة الثامنة: فترة الحكم الوطني

بدأت هذه المرحلة منذ الإستقلال في العام ١٩٥٦م وحتى الآن، وقد تقلب فيها نظام الحكم من

د. أحمد حسين عبدالرحمن: قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة الخرطوم - السودان.

د. معاوية مصطفى: قسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب - جامعة الخرطوم - السودان.



## الهوامش:

- (١) العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل إذا نحي عنه خوصه.
- (٢) الكرانيف: جمع كرنافة، وهي أصل السعفة الغليظ الملتصق بحدع النخلة، وتسمى أيضاً (الكرب) بعد قطع السعف منه، وقد وجد القرآن الكريم مكتوباً على كرانيف، قبل جمعه في الصحف.
- (٣) اللخاف: مفردها لخفة، وهي حجارة بيضاء وعريضة ورقيقة.
- (٤) المهارق: مفردها مهرق، وهي صحف من القماش أبيض اللون، وهو لفظ فارسي معرّب يعني ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب عليه.
- (٥) القباطي: مفردها قبطة، فصيلة من المهارق، وهو نسيج من القماش الأبيض، وهو من الكتان الناصع البياض والنقاء، ويقال أن المعلقات كتبت على قماش القباطي بماء الذهب، وعلقت على جدار الكعبة المشرفة.
- (٦) البردي: نبات ينمو على ضفاف نهر النيل في مصر، إذ يتم تصنيع أوراقه على شكل لفائف (المسفر ١٩٩٩: ٢٥ - ٣٠).

## المراجع:

### أولاً: المراجع العربية

- القرآن الكريم.
- أبوسليم، محمد إبراهيم، ١٩٦٦م، المرشد إلى وثائق المهديّة، الخرطوم، دار الوثائق المركزية.
- أمان، محمد محمد، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، خدمات المعلومات مع إشارة خاصة إلى الإحاطة الجارية، الرياض، دار المريخ للنشر.
- بريزة، كارل هانز، ١٩٩٧م، مملكتنا نباتا ومروي، السودان ممالك على النيل، ترجمة بدرالدين مردوكي؛ باريس، [د.ن].
- بكر، محمد إبراهيم، ١٩٩٨م، تاريخ السودان القديم، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
- بنين، أحمد شوقي، ١٩٩٤م، علم المخطوط والتحقيق العلمي، المخطوط العربي وعلم المخطوط (ندوة)، الرباط، كلية الآداب جامعة محمد الخامس، .
- الحلوجي، عبدالستار، ٢٠٠٢م، المخطوط العربي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
- زرّوق، خديجة، ١٩٨٠م، «دور الوثائق في البحث العلمي»، مجلة الوثائق، دار الوثائق المركزية الخرطوم.
- سيد، أمين فؤاد، ١٤١٤هـ، ١٩٩٧م، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
- عبدالجليل، الشاطر البصلي، ١٩٥٥م، معالم تاريخ السودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، الشاطر البصلي عبدالجليل، القاهرة، [د.ن].
- عبدالرحمن، أحمد حسين، ٢٠٠٥م، الدلالات الأثرية للإمتداد السياسي والديني لدولة الفونج بين الشلالين الرابع والثالث، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.
- عمر، معاوية مصطفى محمد، ٢٠١٣م، «دور دار الوثائق القومية السودانية في نشر المعلومات وإتاحة المعرفة»، المؤتمر العاشر لقسم المكتبات والوثائق والمعلومات «إتاحة المعرفة وحق الوصول إلى المعلومات في المجتمع العربي المعاصر» القاهرة، ١٥ - ١٦ مايو ٢٠١٣م.
- المبارك، موسى، ١٩٦٠م، تاريخ دارفور السياسي ١٨٢١-١٨٩٢. الخرطوم، [د.ن].
- المسفر، عبدالعزيز بن محمد، المخطوط العربي وشيئ من قضاياها، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- المؤذن، منى، ١٩٩٧م، النقائش والرسوم الصخرية في الآثار العربية، النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي. تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- لوكلان، جان، ١٩٩٧م، مصر في السودان، الإمبراطورية الحديثة - ١٥٤٠-١٠٧٥ ق.م، السودان ممالك على النيل. ترجمة بدرالدين مردوكي؛ باريس، [د.ن].

## ثانياً: المراجع غير العربية

Adams. W.Y, 1977. **Nubia Corridor to Africa**, Princeton, Princeton University Press.

## ثالثاً: المواقع على شبكة الإنترنت

- بشير، سيف الإسلام بدوي. مصادر تاريخ السودان ومؤرخيه:  
ود ضيف الله والسلاوي والكرديفاني نماذجاً. <تاريخ الإطلاع  
٢٠١٣/٧/١٣م> متاح على:  
[http://tanweer.sd/arabic/modules/smartsection/item.  
php?itemid=85](http://tanweer.sd/arabic/modules/smartsection/item.php?itemid=85)
- معجم المعاني. علم الفيلولوجيا <تاريخ الإطلاع  
٢٠١٣/٧/١١م> متاح على:  
<http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/>
- ٢٠١٣/٧/١٥م < متاح على:  
[http://www.cese.iq/afak\\_m/42/af\\_m-42-16.htm](http://www.cese.iq/afak_m/42/af_m-42-16.htm)
- صالح، رعد جبار. الكتابة ومراحل تطورها <تاريخ الإطلاع